او غير ذلك من السرد الديني الذي يأخذ بجامع القلوب ، فيسمو بالناس ، ولو الى ساعة من الزمن الى صفاء النفس ، والراحة من متاعب الحيـاة ، واشتعال الامل والرجاء بالقدرة الخفية العليا ، ويمتلىء القلب بالسكينة ، كأنه يستقر من قلقه وحيرته وشكوكه ومتاعبه ، في قرار مكين .

وهكذا كنا نخرج من المسجد ، والسرور يغمر قلوبنا ، ونحن نتزاحم بالمناكب والاقدام حتى نصل الى الشيخ الجزار ونلثم يديه الطاهرتين ، والمؤذنون من حوله يرشون ماء الورد على يديه من حين الى حين .. ونحن لا نخشى العدوى ، فلا عدوى في الاسلام ، وهكذا تعلمنا ، وهكذا آمنا .. وما عليك أن تخاف اذا آمنت .

ونعود الى بيوتنا ، كأننا رجعنا من مصح جميل وجدنا فيه الشفاء والعافية ، لنبدأ الحياة من جديد ، انتظارا ليوم الاسراء ، او يوم آخر من الايام الدينية .

وكانت « القصة » بكل ما فيها من اساطير وحقائق ونفحات روحية تشحن المدنية كلها بالرضا والسرور ، ولا تكلفهم الا الايمان فقط .. وما ارخصه وأغلاه ثم ما أيسره وما أعسره !!

واليوم وقد مضى على هذه الصورة الحلوة ما يقرب من خمسين عاما ، جاء فيه العلم بالعجائب ، ومعه أحمال من الارق والقلق والعذاب ، فلا تنفع فيه دور الشفا ، ولا احمال العقاقير ... اليوم هذا ، أسائل نفسي : وما ضرنا ان نؤمن بتلك الصورة المشرقة .. انها حلوة عذبة ، فيها شفاء الروح وعافية النفس ، واشراقة الحياة .. ومـا طعم الحياة اذا غاب الرضا ، وحل محله القلق والعذاب .

ومضت الايام تتلوها الايام ، ونحن في كل عام نذهب الى الجامع الكبير نستمع الى قصة الاسراء والمعراج يتلوها الشيخ الجزار ، فننعم بصوته العذب ، ونخشع لعباراته وعبراته .. فبقدر ما كان كثير البكاء في المسجد ، كان طلق المحيا ، خارج المسجد ، وهو يتصدر حلقة العلماء من حوله .

ومنذ صباي ، كنت ولوعا بالتسلل الى هذه الحلقات أجلس في طرفها ، واستمع الى أحاديثها ...

وذات مرة ، رأيت الشيخ الجزار يغضب لاول مرة .. فقد كان الحديث يدور حول الاسراء والمعراج .. وكان في الحلقة أحد العلماء ، وهو الشيخ جمال السعدي .. وكان هذا يقرأ كتب التاريخ ويعنى بالشؤون المدنية اكثر من عنايته بالقضايا الدينية .

فاستأذن الشيخ السعدي في الكلام عن الاسراء والمعراج .وبعد مقدمة طويلة حافلة بالاعتذار ، بدأ الشيخ السعدي كلامه بأنه « مستفسر لا مستنكر » عما اذا كان اسراء الرسول ( ص ) بالروح والجسد ، ام انه بالروح دون الجسد .

ولم يكد الشيخ السعدي يفرغ من سؤاله حتى انقض الشيخ الجزار غاضبا هائجا وهو يصيح « الله اكبر ، الله اكبر ، اما تخاف الله ، يا جمال . وهل تنكر الاسراء والمعراج ، وقد جاء بنص القرآن ، انه بالروح والجسد معا . وهذا هو ما اجمع عليه السلف الصالح وجمهور العلماء » .

وراح الشيخ الجزار يستشهد بآيات القرآن ، التي تتحدث عن الاسراء والمعراج ، ولا يكاد لسان الشيخ الجزار يطاوع نبراته وكلماته ، والشيخ جمال السعدي ، يتضاءل في مقعده ، يضمر شيئا فشيئا ، دون ما هو عليه من ضمور ونحول ، حتى أصبحت جبهته وعمامته ما تحتهما شيء .